تأويلات العز بن عبد السلام

لكلمة (وجه) المضافة الى لفظ الجلالة

The interpretations of Ezz Bin Abdul Salam

For the word (face) added to the name of (Allah)

م. د. فاطمة عبد القادر عبدالله

Fatimah Abdulqader Abdullah

ديوان الوقف السني/ كلية الامام الأعظم (رحمه الله) الجامعة/ قسم أصول الدين- بنات

Email: Flytoftm@gmail.com ٠٧٨٠٠٧٤٤٨٩٠

الملخص

قام هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة وقد تكلمت في المبحث الأول على حياة الشيخ العز بن عبد السلام كامله بما فيها من اسمه ونسبه وشيوخه وتلاميذه، إضافة الى مذهبه الفقهي والعقدي، وفي آخره وفاته ودفنه، أما المبحث الثاني فقد قام المبحث على تأويلات الشيخ لكلمة (وجه) المضافة الى لفظ الجلالة حيث جاءت على عدة تأويلات منها (الذات) ومنها (الثواب) ومنها (بمعنى الطاعة والتعظيم) ومنها (للوجه بمعنى القبلة)، ثم الخاتمة.

Summary

This research was based on an introduction, two studies, and a conclusion, and I spoke in the first study about the life of Sheikh Al-Ezz bin Abdul Salam as a whole, including its name, genealogy, elders, and disciples, in addition to his jurisprudence and at the end I wrote about his death and his funeral.

The second study was based on the Sheikh's interpretations of the word (A face) added to the name of (Allah) Majesty, where it came to several interpretations, including (the self), including (reward), including (in the sense of obedience and glorification), and from (for the face in the sense of direction to Khibla), at the end I wrote my conclusions.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً وفيراً، والصلاة والسلام التامين الأبديين على سيد الأولين والآخرين سيدنا النبي الصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

وبعد...

فقد قال تعالى:﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[١] ومن هذه النعم -علينا نحن المسلمين- غير المحصاة نعمة العلماء العاملين الذين قيّضهم الله تعالى لحماية الدين والدفاع عنه وشرحه وتوضيحه وإيصاله نقياً صحيحاً غير محرف الى جميع المسلمين، لذلك كرّمهم الله تعالى وجعلهم ورثة لصفوة خلقة ((العلماء ورثة الأنبياء))[٢]، ورفع درجاتهم على غيرهم من البشر ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٣] ونوه على أنهم لا يستوي بهم غيرهم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

ذلك أنهم كانوا مشاعل هداية وبيارق خير للمجتمعات التي عاشوا فيها فقد نشروا علماً وفهماً وورعاً وأدباً وشجاعة وخلقاً فكانوا بحق ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[٥].

واعترافاً بفضلهم وتثميناً لجهودهم، ومحاولة لنشر آرائهم للمسلمين نتكلم اليوم عن أحد هذه القمم الشوامخ متخذين من آرائه العقدية مسلكاً لإفهام المسلمين كيفية فهم النص العقدي المشكل وبيان طريقة تعامل العلماء مع هذه النصوص.

هذه القمة في بحثنا هذا هو الشيخ العز بن عبد السلام سلطان العلماء كما لّقب، رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خير الجزاء.

وقام البحث على مقدمة، ومبحثين وخاتمة.

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٣٥.

(٢) الحديث: رواه الترمذي في سننه: ٤٨/٦ برقم (٢٦٨٢).

(٣) سورة المجادلة الآية: ١١.

(٤) سورة الزمر الآية: ٩.

(٥) سورة السجدة الآية: ٢٤.

المبحث الأول: حياة الشيخ العز بن عبد السلام.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: العلوم التي برع فيها ومؤلفاته.

المطلب الرابع: مذهبه الفقهي والعقدي.

المطلب الخامس: تصوفه.

المطلب السادس: وفاته ودفنه.

المبحث الثاني: تأويلات الوجه عند العز بن عبد السلام.

تمهيد

المطلب الأول: تأويله للوجه بمعنى الذات.

المطلب الثاني: تأويله للوجه بمعنى الثواب.

المطلب الثالث: تأويله للوجه بمعنى الطاعة والتعظيم.

المطلب الرابع: تأويله للوجه بمعنى القبلة.

الخاتمة

المطلب الأول

اسمه ونسبه

هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي المغزي أصلاً، الدمشقي مولداً، ثم المصري داراً ووفاة، والشافعي مذهباً[١].

يكنى بابي محمد، ولقب بعدة ألقاب، بعز الدين، وشاع بين الناس، الإمام العز، ولقب بسلطان العلماء، لقبه به تلميذه ابن دقيق العيد، كما لقب بشيخ الإسلام[٢]. واتفق أنه ولد في دمشق، واختلف في تحديد سنة ولادته، فقيل بدمشق سنة (٥٧٧هـ) وقيل (٥٧٨هـ) [٣].

نشأته:

كان العز بن عبد السلام يعيش في أسرة فقيرة حيث لا حياة ولا مجد أو منصب، وقد ولد في دمشق الشام، حيث كانت الشام وقتئذٍ مركز هام للعلم والمعرفة وقبلة العلماء والفقهاء، وكانت الشام في خط مواجهة كل الصليبيين في تلك الفترة؟ إضافة الى ذلك كانت الشام ممتلئة بنعم الله وخيراته من ماء عذب وزراعة، وصناعة، وتجارة.

ترعرع الشيخ في تلك الأجواء، وقد انشغلت أسرته بطلب الرزق عن طلب العلم، إلا أن العز كان منذ نشأته الأولى عفيفاً شريفاً يملك نفساً أبية، حيث كان شاباً متديناً، متعبداً رغم فقره، وكان العز يبيت في المسجد الليالي الطوال، ينتظر الصلاة كي لا تفوته الجماعة[٤].

وقد ذكر السبكي (ت٧٧١هـ)، قوة إيمان هذا الشاب وشدة فقره وتدينه حيث قال: سمعت الشيخ الإمام يقول: كان الشيخ عز الدين في أول أمره فقيراً جداً، ولم يشتغل إلا على كبر، وسبب ذلك أنه كان يبيت في الكلاسة[٥]، من

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٢٠٩/٨ وما بعدها، وطبقات المفسرين للداوودي: ٣١٥/١، ومقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام: ٤١.

(٢) العز بن عبد السلام، محمد الزحيلي: ٣٩.

(٣) سلطان العلماء وبائع الأمراء: ٢١١، طبقات الشافعية الكبرى: ٢٠٩/٨.

(٤) النجوم الزاهرة: ٢٠٩/٧، مرآة الجنان: ١٥٨/٤.

(٥) الكلاسة: زاوية في الجانب الشمالي من جامع دمشق.

من جامع دمشق، فبات بها ليلة ذات برد شديد فاحتلم فقام مسرعاً، ونزل في بركة الكلاسة[١]، فحصل له ألم شديد وعام، فنام فاحتلم ثانية، فعاد الى البركة لأن أبواب الجامع مغلقة وهو لا يمكنه الخروج، فطلع فأغمي عليه من شدة البرد... ثم سمع النداء في المرة الأخيرة، يا ابن عبد السلام: أتريد العلم أم العمل؟ فقال الشيخ عز الدين: العلم لأنه يهدي الى العمل فأصبح، وأخذ التنبيه فحفظه في مدة يسيرة، وأقبل على العلم فكان أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله[٢].

المطلب الثاني

شيوخه وتلاميذه

انقطع سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام للعلم والتعلم، حيث حفظ المتون، ودرس الكتب، وتردد على كبار الشيوخ في عصره ليعوض ما فاته في صغره، كما إن كبر سنة وذكائه أعاناه على التفوق في تحصيل العلم وإدراك مسائله الغامضة، وساعده في ذلك أجواء دمشق حيث كانت بصفة عامة موطناً لعدد كبير من فحول العلماء ومشاهيرهم فنهل منهم، العلم والمعرفة، وتحلي بمكارم أخلاقهم واقتدى بحسن سلوكهم، حتى أصبح كما قال السبكي –رحمه الله–: "أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله تعالى"[٣].

قال الداودي (ت٩٤٥هـ): كان العز بن عبد السلام يقول: ما احتجت في علم من العلوم إلى أن أكمله علي الشيخ الذي أقرأ عليه، وما توسطته على شيخ من المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم إلا وقال لي الشيخ: قد استغنيت عني، فاشتغل مع نفسك، ولم أقنع بذلك، بل لا أبرح حتى أكمل الكتاب الذي أقرأه في ذلك العلم[٤].

وكان يقول: مضت لي ثلاثون سنة لا أنام حتى أمر أبواب الأحكام على خاطري.

وقد تلقى العز –رحمه الله– علوم الحديث والفقه والأصول التفسير والتصوف واللغة على أكابر وجهابذة علماء دمشق التي كانت قبله قبلة طلاب العلم وموطن العلماء الأفذاذ، البارعين في شتى العلوم والفنون فتردد عليهم الشيخ عز الدين فنهل من علمهم الصافي الفياض، فانصقلت مواهبه، وتميزت شخصيته وتأثر بهم وسار على منهجهم في الورع والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٥].

---

(١) فتاوى شيخ الاسلام العز بن عبد السلام: ص٦٦، وسلطان العلماء وبائع الأمراء: ص١٢.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٨/٢١٠، وسلطان العلماء وبائع الأمراء: ١١٢.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٨/٢٠٩– ٢١٠، وفتاوى العز: ٦٩، وسلطان العلماء وبائع الأمراء: .

(٤) طبقات المفسرين للداودي: ١/٣١٣.

(٥) فتاوى شيخ الاسلام العز بن عبد السلام: ٧٠.

وشيوخه هم: فخر الدين بن عساكر[١]، وجمال الدين الحرستاني[٢]، وسيف الدين الأمدي[٣]، والقاسم بن عساكر[٤]، وعبداللطيف بن اسماعيل بن أبي السعد البغدادي[٥]،

ومن أهم تلاميذ العز بن عبد السلام الذين نهلوا من علمه وتربوا على يديه هم:

شيخ الاسلام ابن دقيق العيد[٦]، والقرافي[٧]، وجلال الدين الشناوي[٨]، وأحمد بن فرح الأشبيلي[٩]، وشرف الدين الدين أبو محمد الدمياطي[١٠]، وفي التصوف أخذ عن الشهاب السهروردي[١١]، وغيرهم خلق كثير.

المطلب الثالث

مؤلفاته

ترك الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثروة من المصنفات والرسائل المفيدة، والفتاوى السديدة، منها ما طبع ومنها لا يزال مخطوطاً، وقد أفاض المعاصرون في الحديث عن هذه المصنفات، ففي التفسير ألف مختصر تفسير (النكت والعيون للماوردي) و(تفسير القران العظيم) و(أمالي عز الدين بن عبد السلام)، أما في الحديث والسير والأخبار، ففي شرح الحديث (لا ضرر ولا ضرار) و(مختصر صحيح مسلم) و(بداية السول في تفصيل الرسول) أما في الإيمان والعقيدة وعلم التوحيد، من أهم هذه الكتب (رسالة في علم التوحيد) و(وصية الشيخ عز الدين) و(الفرق بين الإسلام والايمان)، أما في الفقه وأصوله أهم كتبه هي: (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، (الإمام في بيان أدلة

---

(١) للاستزادة ينظر: وفيات الأعيان: ٣١٦/٢، والعز بن عبد السلام للزحيلي: ٥٧.

(٢) للاستزادة ينظر: سير أعلام النبلاء: ٨٣/٢٢.

(٣) للاستزادة ينظر: النجوم الزاهرة: ٢٨٥/٦.

(٤) للاستزادة ينظر: طبقات الشافعية: ٣٥٢/٨، الأعلام: ١٢/٦.

(٥) النجوم الزاهرة: ١٥٩/٦.

(٦) للاستزادة ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٢٠٧/٨، والعز بن عبد السلام سلطان العلماء: ٢٣.

(٧) الاستزادة ينظر: مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام: ٦١.

(٨) للاستزادة ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٢٠٩/٨-٢١٠.

(٩) للاستزادة ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٢٩١/٢، والنجوم الزاهرة: ١٩١/٨.

(١٠) للاستزادة ينظر: تذكرة الحفاظ: ١١٨/٢، فتاوى شيخ الإسلام: ٨٧.

(١١) ينظر ترجمته: فتاوى شيخ الإسلام عز الدين بن عبدالسلام: ٧٥-٧٦.

الأحكام)، أما مؤلفاته في الفتاوى هي (الفتاوى الموصلية) و(الفتاوى المصرية)، ومؤلفاته في التصوف هي (شجرة العارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال) و(التخلق بالإيمان) وغيرها[١].

المطلب الرابع

مذهبه الفقهي والعقدي

أولاً: مذهبه الفقهي:

قال ابن كثير ترجمته للعز: "عبد العزيز بن عبد السلام ... الشافعي شيخ المذهب ومفيد أهله... وانتهت إليه رياسة الشافعية"[٢]. حتى أنه بلغ مرتبة الاجتهاد[٣].

وكذلك قال عنه الشافعي كلُ مَنْ ترجم له أو أورد له ذكراً[٤].

ثانياً: مذهبه الفكري أو مدرسته العقدية:

هو أشهري كما قال عنه المترجمون ولا خلاف بينهم في ذلك[٥].

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: ٣١٥/١.

(٢) البداية والنهاية: ٢٣٥/١٣، وطبقات المفسرين: ١/ ، ومرآة الجنان: ٢٤٨/٣.

(٣) رفع الإصر عن قضاة مصر: ٢٤٠/١.

(٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: ٣١٤/١-٣١٥، وديوان الإسلام: ٢٩٠/٣، وفوات الوفيات: ٥٠/٢.

(٥) مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٢٤٨/٣.

المطلب الخامس

التصوف

كان من أكابر الصوفية في عصره، وكان له مجلس ويحضر مجالس التصوف عند أكابر قومه:

قال السبكي: "وقد كان للشيخ عز الدين اليد الطولى في التصوف وتصانيفه قاضية بذلك"(١).

وقال الداوودي: "لبس خرقت التصوف من الشهاب السهروردي(٢)، واخذ عنه، وكان يقرأ عليه رسالة القشيري" وله يد في التصوف وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد(٣).

وقال السيوطي: "وله كرامات كثيرة، ولبس خرقة التصوف من الشهاب السهروردي، وكان يحضر عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي: قيل لي: ما على وجه الأرض مجلس في الفقه... وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك"(٤).

المطلب السادس

وفاته ودفنه

بعد عمر مديد ناهز الثالثة والثمانين عاماً في الجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام، ونشر دعوته، توفي العز بن عبد السلام في العاشر من جمادى الأولى سنة ست وستين وستمائة هجرية (٦٦٠هـ)، وقد ذكر ابن السبكي عن ابن العز الشيخ عبد اللطيف أن وفاة والده في التاسع من جمادى الأولى (٦٦٠هـ)، وذكر في رواية أخرى انها في (١٠) جمادى (٦٦٠هـ)، وهو ما عليه عامة المؤرخين، وهناك رواية لتلميذ العز الدمياطي توفق بين الروايتين وهي قوله: توفي العز بين السبت ٩ جمادى الأولى (٦٦٠هـ) ودفن في سفح المقطم(٥).

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٨/٢١٠ و٢١٥.

(٢) سبقت ترجمته في شيوخه.

(٣) طبقات المفسرين: ١/٣١٩.

(٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: ١/٣١٥.

(٥) للاستزادة ينظر: طبقات السبكي: ٨/٢٤٨، وفتاوى شيخ الإسلام: ١٥٤، والبداية والنهاية: ١٣/٢٣٦، حسن المحاضرة: ١/٣١٦.

المبحث الثاني

تأويلات الوجه عند العز بن عبد السلام

تمهيد

ظلّت مسألة الصفات الإلهية الواردة في القرآن الكريم مجال بحث عند أغلب العلماء من متكلمين ومفسرين وأهل لغة، لأنها من المتشابه الذي يصعب فهمه على العلماء ناهيك عن العامة، لذا كان للعلماء في التعامل مع هذه النصوص مذاهب هي:

الأول: التفويض أو التسليم:

وقالوا: أمروها كما جاءت، والإيمان بها قراءتها من غير تعرض لها بتفسير أو غيره وهو مذهب السلف.

الثاني: الوقوع في التشبيه:

فمنهم من شبه في الذات باعتقاد اليد والوجه والقدم.

ومنهم من شبه في الصفات: كالنزول، والمجيء، واثبات الجهه... فآل قولهم الى التجسيم وذلك بسبب تمسكهم بالتفسير الحرفي للآيات والأحاديث الموهمة للتشبيه والتجسيم(١).

الثالث: التأويل:

وذهب إليه غالب الفرق الإسلامية من شيعة وسنة ومعتزلة وفي ذلك يقول الامام الرازي: "جميع فرق الإسلام مقرّون بأنه: لابد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار"(٢).

وقال الزركشي: "هو منقول عن الصحابة منهم: علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ﷺ وقال: وهو المختار عندنا"(٣).

وقال بعض أهل العلم: "مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم، وقد يتبادر الى الذهن أن المراد أقوى من العلم، وإنما المراد: أنه أحوج الى مزيد من العلم واتساع فيه لأجل أبواب التأويل، وإنما كانت طريقة السلف، أسلم لأنهم لم يخضوا فيه، والخلف خاضوا فيه وأولوها على ما يليق بجلاله..." (١).

---

(١) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ٢٦٨، والبحر المحيط في أصول الفقه: ١٩١/٢.

(٢) أساس التقديس للرازي: ٧٩.

(٣) البحر المحيط للزركشي: ١٩١/٢، وأقاويل الثقات: ١٤١/١.

والذي يهمنا في هذه المسألة هو رأي الشيخ العز بن عبد السلام حيث قال: "طريقة التأويل بشرطه أقربهما الى الحق، لأن الله تعالى خاطب العرب بما يعرفونه، وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنه قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٢] وقال لرسوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]..."[٤].

وعليه فإن التأويل المنضبط مقبول بشرط أن يقول: يجوز أن يكون المراد كذا... [٥].

قال ابن عطيه بعد إيراده لسكوت السلف عن الخوض في هذه الصفات: "وهذا قول يضطرب لأن القائلين به يجمعون على انها ليست على ظاهرها في كلام العرب.

فإذا فعلوا هذا فقد نظروا وصار السكوت عن الأمر بعد هذا مما يوهم العوام ويتيه الجهلة، وقال جمهور الأمة: بل تفسر هذه الأمور على قوانين اللغة ومجاز الاستعارة وغير ذلك من أقانين كلام العرب[٦].

ومن هذه الصفات: صفة الوجه المضافة الى الله تعالى في القرآن الكريم وسنوجز القول فيها تمهيداً لبحثنا:

اختلفت الأقوال في تأويل الوجه المضاف اليه سبحانه وتعالى:

فقال الحذّاق: ذلك راجع إلى الوجود، والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام، إذ كان الوجه أظهر الأعضاء في الشاهد وأجلّها قدراً[٧].

وقال بعض الأئمة: تلك صفة ثابتة بالسمع زائدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى:

قال الإمام أبو حنيفة –رحمه الله تعالى–: وله يد ورجل ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ..." [٨].

وقال ابن عطية: "إنما المراد وجوده"[٩].

---

(١) البحر المحيط: ٢٩/٣ و٤٠/٥-٤١.

(٢) سورة القيامة الآية: ١٩.

(٣) سورة النحل الآية: ١٤.

(٤) البحر المحيط: ٤٠/٥.

(٥) المصدر نفسه: ٤١/٥.

(٦) المحرر الوجيز: ٢٥١/٢-٢٥٢.

(٧) تفسير ابن عطية: ٢٠٠/١، وتفسير القرطبي: ٨٣/٢.

(٨) الفقه الأكبر: ٢٧.

(٩) تفسير ابن عطية: ٢٠٠/١.

وقال الطاهر بن عاشور: "قد علم السامعون أن الله تعالى يستحيل أن يكون له وجه بالمعنى الحقيقي وهو الجزء الذي في الرأس، واصطلح علماء العقائد على تسمية مثل هذا بالمتشابه، وكان السلف يحجمون عن الخوض في ذلك مع اليقين باستحالة ظاهره على الله تعالى، ثم تناوله علماء التابعين ومن بعدهم بالتأويل تدريجياً الى أن اتضح وجه التأويل بالجري على قواعد علم المعاني، فزال الخفاء واندفع الجفاء، وكلا الفريقين خيرة الحنفاء"(١).

لذلك كان هذا البحث للوقوف على تأويلات كلمة (وجه) المضافة الى الله سبحانه وتعالى الواردة في تفسير العز بن عبد السلام.

وهنا لا بد من التأكيد على اننا لا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن ننكر ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، ولا نقول بغيره بل نثبته كما اراد الله تعالى ونقدمه للقارئ بالتأويل الذي يبين التوجيه الإلهي المطلوب من هذه الآية الكريمة على أن الصحابة رضوان الله عليهم أوّل من أول الصفات في القرآن الكريم على وفق ما جاء في لغة العرب(٢).

وسنذكر أيضاً أقوال بعض العلماء الذين وافق تأويلهم تأويله في كل آية سيتم تناولها.

المطلب الأول

تأويله للوجه بمعنى الذات

أول الشيخ العز كلمة وجه المضافة الى الله تعالى في بعض الآيات بالذات، وقال إن المقصود هنا هو ذات الله تعالى، وهذه الآيات هي:

١- قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٣) الواردة في سوره الرحمن:

وقال في تفسيره للآية ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾: أي: ذات الله(٤).

وقال في موضع آخر: "وقد يُعبرّ عن الشيء بالوجه كقولهم: "هذا وجه الصواب"(٥).

٢- قوله تعالى في سورة القصص: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٦).

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٥٣/٢٧.

(٢) ينظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات: ٦٥ و١٤١.

(٣) سورة الرحمن الآية: ٢٧.

(٤) تفسير العز بن عبد السلام: ١٥٦/١.

(٥) تفسير العز بن عبد السلام: ٤٣٨/١، و٢٦٦/٣.

(٦) سورة القصص الآية: ٨٨.

قال العز في تفسيره: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾: "إلا هوّ".

وزاد تأويلات أخرى: "إلاّ هو، أو ملكه، أو ما أريد به وجهه..."[١].

وقد ذكر الواحدي في تفسيره أقوال العلماء وخص منهم أهل المعاني فقال:

"... والعرب تستعمل الوجه وهم يريدون نفس الشيء إلا أنهم يذكرونه باللفظ الأشرف، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٢]. [٣].

وقال اكثر المفسرين الى كون الوجه هنا مفسرّ بالذات ولاسيما المقام مقام توحيد وبيان هلاك جميع الأشياء الاّ هو تعالي.

وقال ابن كثير: "... ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فعبّر بالوجه عن الذات وهكذا قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٤]، أي إلاّ إياه"[٥].

المطلب الثاني

تأويله للوجه بمعنى الثواب

أوّل الشيخ العز بن عبد السلام كلمة (وجه) المضافة إلى الله تعالى في بعض الآيات بمعنى (الثواب) وهذه الآيات هي:

١- قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾[٦] فقال في تفسيره للآية: للآية: "﴿فَلَا يَرْبُو﴾: لا يكون له ثواب عند الله ﴿زَكَاةٍ﴾: مفروضة، أو صدقة، ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾: ثوابه"[٧].

٢- قوله تعالى في سوره الليل: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾[١] فقال في تفسيره للآية: "﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾ عند الله تعالى، ﴿مِنْ نِعْمَةٍ﴾: يجازيه بها إلاّ أن يفعلها، (ابتغاء وجهه) فيستحق عليها الجزاء، أو ما لبلال عند أبي بكر -

---

(١) المصدر نفسه: ٥٠٣/٢.

(٢) سورة القصص الآية: ٨٨.

(٣) تفسير البسيط للواحدي: ٢٧/٣، تفسير الطبري: ٦٤٣/١٩، وتفسير النسفي: ٦٦٢/٢، وتفسير الرازي: ١١٢/١.

(٤) سورة القصص الآية: ٨٨.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٣٥/٦.

(٦) سورة الروم الآية: ٣٩.

(٧) تفسير العز: ٥٣١/٢.

رضي الله عنهما- اشتراه وأعتقه وخلصه من العذاب نعمة سلفت جازاها بها ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾: ثوابه وعتقه"[٢].

وهذا التأويل للشيخ العز هو عينه الذي ذهب إليه طائفة من المفسرين: قال الرازي: "ومن الناس من قال: ابتغاء الله بمعنى: ابتغاء ذاته وهي محال، فلا بد وأن يكون المراد ابتغاء ثوابه وكرامته"[٣].

قال .... : "وعبر بالوجه إشارة الى قصده أعلى القصود فلا نظر إلاّ إلى ذاته سبحانه وتعالى التي عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الذات، وبالنظر إليه تحصل الحياة والرغبة والرهبة، لا إلى طلب شيء من دنيا ولا آخرة"[٤].

المطلب الثالث

تأويله للوجه بمعنى الطاعة والتعظيم

أول الشيخ العز الوجه المضاف إليه تعالى في بعض الآيات بمعنى الطاعة والتعظيم، وهذه الآيات هي:

١- قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥].

فقال في تفسير للآية: "يدعون الصلوات الخمس، وذكر الله تعالى أو عبادته، أو تعلم القرآن، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: يريدون طاعته بقصدهم الوجه الذي وجههم إليه، أو يريدونه بدعائهم، وقد يُعبر عن الشيء بالوجه كقولهم: "هذا وجه الصواب"[٦].

وورد في رواية عن ابن عباس ﷺ في تفسيره لهذه الآية: "يريدون إيّاه بالطاعة، ويريدون خالص وجهه..."[٧]، وورد عن كثير من المفسرين: أن ذكر الوجه هنا للتعظيم ومعناه: يريدون طاعته[١].

---

(١) سورة الليل الآية: ٢٠.

(٢) تفسير العز: ٤٦٠/٣.

(٣) تفسير الرازي: ١٨٩/٣١، وينظر: التحرير والتنوير: ٣٩٢/٣٠.

(٤) تفسير البقاعي (نظم الدرر): ٩٦/٢٢.

(٥) سورة الأنعام:٥٢.

(٦) تفسير العز: ٤٣٨/١.

(٧) ينظر: تفسير السمعاني: ١٠٨/٢٠، وتفسير النسفي: ١٤/٢، وتفسير الشعراوي: ٣٦٥٠/٦.

٢- قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[٢].

قال الشيخ العز في تفسيره للآية: "﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾: تعظيمه، أو طاعته نزلت على الرسول ﷺ بالمدينة فقال: "الحمد لله الذي جعل في أمتي من أُمرت أن أصبر معهم"[٣].

المطلب الرابع

تأويله للوجه بمعنى القبلة

أول الشيخ العزيز كلمة وجه المضافة الى الله تعالى، بمعنى القبلة وذلك في قوله تعالى في سوره البقرة: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤].

فقال في تفسيره للآية: " ﴿ فَثَمَّ ﴾: إشارة الى المكان البعيد، ﴿ وَجْهُ اللَّهِ ﴾: قبلته"[٥].

وقد سبق الشيخ العز كثير من المفسرين أولوا هذه الآية بنفس تأويله فقالوا: "أينما تولوا فثم وجه الله: قبلة الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً"[٦]. وقد اسند إلى ابن عباس رضي الله عنه[٧].

وجاء في تنوير المقياس هذا الكلام عينه:

فقال: "ويقال: ولله المشرق والمغرب يقول الله لأهل المشرق والمغرب قبلة وهو الحرم، فأينما تولّوا وجوهكم في الصلاة الى الحرم ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾: قبله الله...[٨].

وقال الامام الشافعي: "فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه"[١].

---

(١) ينظر: تفسير الآلوسي: ١٥١/٤، وتفسير الماوردي: ١١٨/٢.

(٢) سورة الكهف الآية: ٢٨.

(٣) تفسير العز: ٢٤٥/٢، وينظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٩٧/١.

(٤) سوره البقرة: ١١٥.

(٥) تفسير العز: ١٥٦/١.

(٦) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٢/١.

(٧) المصدر نفسه: ٢١٢/١، والدر المنثور: ٢٦٧/١.

(٨) تنوير المقياس: ١٧/١.

قال الرازي: اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، والضابط أن الأكثرين زعموا أنها نزلت في أمر يخص الصلاة، ومنهم قال نزلت في أمر لا يخصها، وقول الأكثريي أقوى لوجهين:

أحدهما: أنه هو المروي عند الصحابة والتابعين جميعهم، وقولهم حجة.

وثانيهما: فأينما تولوا يفيد التوجه إلى القبلة في الصلاة ولهذا لا يعقل من قوله: فولوا وجوهكم إلاّ معنا هذا المعنى"[٢].

وإليه ذهب ابن كثير[٣].

الخاتمة

بعد هذه الصفحات التي تناولنا فيها رأي الشيخ عز الدين في توجيه معاني الوجه المضافة الى الباري سبحانه وتعالى، نخلص إلى النتائج الأتية:

١- لم يكن المسلمون كلهم متفقين على منهج واحد في التعامل مع هذه النصوص.
٢- اختار المتأخرون من العلماء طريق التأويل للمشكل من آي الذكر الحكيم لأسباب عديدة: منها إزالة التعارض بين ظواهر النصوص، ومنها ايصال مراد الله تعالى من آياته الى أفهام العامة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.
٣- إن الجنوح إلى تأويل الصفات الإلهية لا يعد نفياً لها وإنما هو توجيه لما صحّ من أقوال الصحابة والمفسرين لهذه الصفات.
٤- جميع فرق الإسلام مقرّون بثبوت الصفات الإلهية الواردة في القرآن الكريم، وإن اختلفوا في طريقة الفهم والتعبير.
٥- يجب على المسلمين الاعتماد على أقوال العلماء المخلصين في تفسيرهم للمشكل من آي القرآن الكريم وعدم الخوض فيه إلاّ لمن ملك أدوات فهمه وتوجيهه.

---

(١) أحكام القرآن للشافعي: ٦٤/١.
(٢) تفسير الرازي: ١٨/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٧١/١.

المصادر والمراجع

١- أحكام القران للشافعي، جمع البيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، وقدم له: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات المتشبهات، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن احمد الكرمي المقدسي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٤- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٥- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت٧٧٤م)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي.

٦- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

٧- تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٨- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في ١٥ رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنه علميه في الجامعه بسبكه وتنسيقه، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٩- تفسير الشعراوي- الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨م)، مطابع أخبار اليوم.

١٠- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن ابراهيم الوهبي، دار ابن حزم- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١١- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم لابن ابي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٣- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن احمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٤- تفسير الماوردي= النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٥- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن احمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٦- تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، لعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) (ت٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية- لبنان.

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٨- الجامع لأحكام القران= تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي شركاه- مصر، ط١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٢٠- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت.

٢١- ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت١١٦٧هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٢- رفع الإصر عن قضاة مصر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة.

٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٤- سلطان العلماء وبائع الأمراء، الشيخ عز الدين بن عبد السلام، د.علي محمد محمد الصلابي.

٢٥- سير أعلام النبلاء، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٦- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: د.محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.

٢٧- طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن احمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

٢٨- فتاوى سلطان العلماء العز بن عبد السلام، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الفتاح، دار الوفاء، ٢٠١٦م.

٢٩- الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، تأليف: محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (ت١٥٠هـ)، مكتبة الفرقان- الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن ثمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ابو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧.

٣٢- مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٣٣- مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، د. عمر بن صالح بن عمر، دار النفائس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

٣٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

٣٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

٣٦- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت.